

## تكلمة أو لاهوت†

### الميتروبوليت ييروتثيوس فلاخوس

#### نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

"إن عقائد الآباء تُتجاهل تمامًا، وقد تلاشت التقاليد الرسولية، وظهرت ابتداعات الشباب في الكنائس؛ لذلك، الناس يتكلمون فيما ينبغي أن ينطقوا باللاهوت؛ يبدو أن حكمة العالم أزاحت الافتخار بالصليب. الكهنة يُنفون ويوضع في مكانهم ذئاب قاسية تبدد قطيع المسيح" (باسيليوس الكبير، الرسالة ٩٠، "إلى الإخوة والأساقفة الفائقى القداسة في الغرب").

في حديث مع أحد الرهبان العلماء من جبل آثوس منذ بعض الوقت، ناقشنا، من بين أمور أخرى، أزمة اللاهوت في بلادنا، بسبب تأثير اللاهوت السكولاستيكي (المدرسي) الغربي كما واللاهوت الروسي. دون أن ينكر هذه الحقيقة، أورد الراهب تصحيحًا طفيفًا لكلامي، قائلاً إنه لا ينبغي أن نتحدث عن "أزمة في اللاهوت"، بل عن "أزمة في اللاهوتيين". بالطبع، لم يكن لدي أي نية لمخالفته، لأن هذا ما قصدته أساسًا.

في الواقع، عندما نتحدث عن اللاهوت الأرثوذكسي، نشير إلى إيمان الكنيسة في تعبيرها الأصيل، بالطريقة التي قدّمها الرسل والآباء القديسون، بعد أن اختبر كل منهم الوحي بشكل شخصي. هذا اللاهوت لا يميز بأزمة على الإطلاق. أما عندما يكون هناك بعض "اللاهوتيين" الذين يخفنون في مسائل الإيمان ويخلطون لاهوت اللاهوتيين الذين كانوا على حق مع تأملات الفلاسفة والمتفلسفين، عندها بالتأكيد تنشأ مشكلة وتصير الأزمة واضحة بالفعل. من هنا، تتعلّق الأزمة باللاهوتيين.

لقد لاحظت أن عندنا (وخاصة بين بعض الأكاديميين) يسود انطباع بأن اللاهوت يقوم على الببليوغرافيات والحواشي والمراجع. قد يلبي هذا النهج بالطبع معايير المتطلبات الأكاديمية العلمية، لكنه لا يعني أنه علم اللاهوت. يجب الإضاءة على هذا الاختلاف. اللاهوت شيء، وتحليل اللاهوت العلمي والأكاديمي على يد اللاهوتيين هو شيء آخر تمامًا.

يمكن أن نلاحظ هذا في العلوم الأخرى. على سبيل المثال، قد ينشئ رسامٌ أو نحّاتٌ أو شاعرٌ عملاً أصيلاً وأصلياً ما يفتح آفاقاً جديدة ويضع مساراً جديداً ومنظوراً قد يصل إلى تحديد حقبة معينة. لاحقاً، يأتي العديد من الباحثين، فيعملون على التحقيق في هذا العمل الفني المحدد وفي الفنان نفسه، فيحاولون معرفة خلفية العمل ونقطة بدايته؛ كما يسعون أيضاً إلى تحليل الحقائق والأساليب التي سادت تلك الحقبة، إلخ. بالطبع، العمل البحثي ضروري ولكن لا يمكن مقارنته بالعمل المحدث والأصلي. على سبيل المثال، رسم الأيقونات عند ثيوفانس الكريتي وميخائيل بانسيلينوس هو شيء، في حين

أن التحليل العلمي لهذا الرسم شئى مختلف تماماً. وبالمثل، الشاعر إيليتيس (Ελύτη) شئىء، والدارس الذي يحلل عمل إيليتيس شئىء آخر تماماً. إيليتيس هو من حصل على جائزة نوبل، وليس محلله. هناك فرق شاسع بين الاثنين.

لقد منحت الكنيسة لقب "اللاهوتي" لثلاث شخصيات رئيسية فقط: القديس يوحنا اللاهوتي، القديس غريغوريوس اللاهوتي والقديس سمعان اللاهوتي الحديث. وأضيف إليهم فيما بعد رابع: القديس غريغوريوس بالاماس. في أعمال هذه الشخصيات الأربع، كما هو الحال أيضاً في أعمال الآباء القديسين الآخرين (باسيليوس الكبير، وغريغوريوس النيصي، ومكسيموس المعترف)، هناك وفرة من اللاهوت الفني والحي والأساسي، دون أي اقتباسات أو هوامش على الإطلاق.

خلال دراستي، اشتركت لفترة في فريق علمي مهتم في تحضير نسخة نقدية لكتابات القديس غريغوريوس بالاماس. وظيفتي كانت أن أتبع نصوص القديس غريغوريوس اللاهوتي التي استعملها القديس غريغوريوس بالاماس، بهدف إدخالها في النسخة النقدية. من غير الممكن أن أتبنى النظرة القائلة بأن القديس غريغوريوس بالاماس دَوّن بعض المعلمين الأكاديميين المهتمين، الذين تعلموا العمل على نحو كامل مع المراجع والتوثيق المنطقي والتحليل السكولاستيكي، لأنه لم يُشر إلى أي من علماء عصره (أو حتى إلى الكثيرين من آباء الكنيسة)، وحتى عندما أشار إلى أحدهم لم يحدد العمل الذي استعمله كمرجع.

في أيامنا هذه، نحن بحاجة إلى لاهوت يقدّم أجوبة، عن طريق الخبرة الملهمة، للكثير من الأسئلة الوجودية التي تشغل الإنسان المعاصر، كمثل الألم، الموت، الشعور بالإثم، معنى الحياة، كما للمشاكل الاجتماعية الهائلة التي تتزايد. نحن بحاجة إلى لاهوت من "الحنان"، من القرب؛ لاهوت ينزل مثل المطر اللطيف على نفوس الجنس البشري ويسكب بلسمه الشافي وتعزيتته، كما تفعل كتابات القديس سلوان الأثوسي. نحن بحاجة إلى لاهوت "شاعري"، من غير أن يكون رومنطيقياً وعاطفياً؛ لاهوت "حدسي" من غير أن يكون درساً واستقصاءً؛ لاهوت أصيل ولا يحتاج لأي حواشٍ للتعبير عنه أو ليعبّر عن ذاته، كما قال أحد المفكرين المعاصرين.

وبالطبع، أيّ لاهوت يقوم حصرياً و فقط على الملاحظات والمراجع والبيانات يجب رفضه، لأنه يضلّل الشعب ولا يخدم سوى مصلحة الذين يعبّرون عنه. إن لاهوتاً أكاديمياً من هذا النوع ينبغي شجبه عندما يتخطى حدوده إلى خارج مجاله والهدف الذي يخدمه؛ عندما يتم إسقاطه على أنه نموذج للاهوت عن طريق تهميش اللاهوت الأصيل الحقيقي، لاهوت المستنيرين.

قال القديس باسيليوس الكبير في إيراده أمثلة عن اللاهوتيين "المتفلسفين" في أيامه (وهم مشابهُون للاهوتيين الأكاديميين في أيامنا): "إنهم لا يتعاطون اللاهوت بل التكلجة". من المعيب أن

يُرَبِّط اللاهوت الأصيل بالمنهجية السكولاستيكية؛ بتعبير آخر، أن يُربط اللاهوت بالتقنيات. الناس لا يحتاج الناس اليوم إلى طرق لدراسة الحياة، بل هم بحاجة للحياة الحقيقية.

† سبق أن نُشِرت هذه المقالة في العدد الثامن من السنة الرابعة، أيار ٢٠٠٨، في التراث الأرثوذكسي تحت عنوان "تكنولوجيا أو لاهوت"، وقد تُرجمت في حينه عن الإنكليزية. في حديث مع صاحب السيادة الكاتب قبل فترة أشار إلى هذه المقالة شارحاً عبارة "Τεχνολογοῦσι" اليونانية والتي لا تعني "تكنولوجيا" حصراً، متمنياً ترجمة كافة الأعمال عن اليونانية، أو لغتها الأصلية بشكل عام، حيث يمكن. فالمقالة الحالية هي مراجعة عن الأصل اليوناني.

عبارة "تكلفة" هي الترجمة لعبارة "Τεχνολογοῦσι" اليونانية التي تقابلها بالإنكليزية عبارة "Technologizing"، وهي اسم فعل يعني ممارسة التكنولوجيا. في اليونانية هي عبارة قديمة جذرها "Τεχνο" التي تعني فناً أو مهارة، وبالتالي في اليونانية القديمة التكلفة تعني استعمال مهارة المنطق.

Source: Ναυπάκτου κ. Ιεροθέου: "Τεχνολογοῦσι καὶ οὐ Θεολογοῦσι". Εκκλησιαστικὴ Παρεμβάση. τευχὸς 20 - σεπτέμβριος 1997. <https://parembasis.gr/index.php/el/menu-teychos-20/3956-1997-20-08>